

## قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَيْنَ هُمُ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟

(Arabic – Jesus said: Where are they who condemn you?)

أحبائي.. حديثنا اليومَ موضوعُهُ: "قَالَ لَهَا يَسُوعُ: أَيْنَ هُمُ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟"

ومن إنجيل يوحنا الأصحاح الثامن نقرأ العددين العاشر والحادي عشر:

"فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة. قال لها: يا امرأة. أين هم المشتكون عليك؟ أما  
دانتك أحد؟ فقالت لا أحد يا سيد. فقال لها يسوع: ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضاً".<sup>١</sup>

يذكرُ يوحنا البشيرُ بإنجيله الأصحاح الثامن. أن الربَّ يسوعَ كان يوماً يُعلمُ في الهيكل. حيثُ اجتمعَ  
شعبٌ كثيرٌ. فدخلَ أثناءها كتبةٌ وفريسيون. وقدموا إليه امرأةً أمسكتُ في زنا. ولما أقاموها في الوسطِ قالوا له: "يا  
معلم. هذه المرأة. أمسكتُ وهي تزني في ذاتِ الفعل". وبالتالي في ذلك السلوكِ العجيبِ من أئمةِ الديانةِ اليهوديةِ  
وهُم الكتبةُ والفريسيون. نلاحظُ أنه في سالفِ الزمانِ وفي حاضرنا أيضاً. ليسَ كلُّ من يُخالفُ القانونَ يقعُ دائماً  
تحت يدِ العدالة. فبديهيُّ أنه طالما أمسكوها وهي تزني في ذاتِ الفعل فلا بُدَّ من شريكِ لها. فلكي تكونَ هي زانيةً  
لا بُدَّ من وجودِ الزاني الذي لم يُمسكوا به لسببٍ لا نعلمُهُ. لقدْ اهتمَّ حفظةُ الشريعةِ من كتبةٍ وفريسيين ليُمسكوا  
بالفريسةِ الأضعف. ولم تتحركَ ضمائرُهُم ليُمسكوا بالاقوى الذي استطاعَ الإفلاتَ والهروبَ والاختفاءَ.<sup>٢</sup>

تحمسَ الكتبةُ والفريسيونَ للعملَ بنصِّ الشريعةِ لمحاكمةِ الزانيةِ. فأتوا بالمرأةِ إلى الهيكلِ وأقاموها في  
الوسطِ أمامَ الربِّ يسوع. وقالوا له: "موسى في الشريعةِ أوصانا أن مثلَ هذه ترحمُ فماذا تقولُ أنت؟". قالوا هذا  
ليُجربوه. لكي يكونَ لهمُ ما يشتكونَ به عليه. لقدْ كانَ هدفُهُم أبعدَ من غيرتهمُ على شريعةِ موسى. كانَ هدفُهُم  
الإمساكُ بيسوع. فإن قال لا ترحمُ اتهموه بمخالفةِ الشريعةِ وإن قال ترحمُ صارَ مخالفاً للسلطةِ الحاكمةِ الرومانية.<sup>٣</sup>

وإذا أمعنا النظرَ في الحيلةِ الماكرةِ التي أبدتها الكتبةُ والفريسيونَ المشتكونَ. وفي الحكمةِ الساميةِ التي  
تكلمَ بها الربُّ يسوعُ إلى المشتكينَ وإلى المرأةِ التي اشتكوا عليها وكيفَ عالجَ الأمرُ نستخلصُ ثلاثَ حقائقَ هامةٍ:

أولاً: وضعَ اللهُ لشعبهِ الشريعةَ لتنظيمِ وتنسيقِ العلاقاتِ بضوابطِ وأحكامٍ.. لقدْ وضعَ اللهُ لشعبهِ شريعةً تحدّدُ  
الأسلوبَ الذي به يقترَبونَ إلى اللهِ وتحدّدُ علاقاتهمُ كمجتمعٍ منظمٍ. ومعَ غيرهمُ من الغُرباءِ. وأعطاهَا لموسى للحكمِ  
بها في قضاياهمُ المختلفةِ. حتى لا تتركَ الأمورُ بدونَ ضوابطِ وأحكامٍ رادعةٍ لمن يُخالفُ. وكانَ من الضروريِّ  
في العهدِ القديمِ من تواجدِ الكتبةِ. ليكتبوا الوصاياَ والشرائعَ والكتبَ المقدَّسةَ بأمانةٍ وإتقانٍ. هذا ليعدَمَ توفرُ المطابعِ  
في تلكَ العصورِ. بذلكَ يستطيعُ النَّاسُ معرفةَ حقوقهمُ وواجباتهمُ. حتى لا يكونوا فريسةً لخرافاتِ الباطلِ فيهلكونَ.<sup>٤</sup>

كانَ الكتبةُ والفريسيونَ في عهدهمُ الأولِ من أثيلِ النَّاسِ خُلُقاً وأنفاهمُ ديناً. على أنه على مرِّ الزمنِ دخلَ  
إليهمُ أناسٌ كانتْ أخلاقهمُ دونَ ذلكِ. فاشتهرَ معظمُهُم بعدَ ذلكِ بالرياءِ وادعاءِ البرِّ الكاذبِ. وفرضوا على الآخرينَ  
تعاليمَ ثقيلةً بعيدةً عن جوهرِ الشريعةِ. لقدْ كانَ واجبُهُم تفسيرَ الشريعةِ وتوضيحها. وعلى سبيلِ المثالِ منعَ الجريمةِ  
لا القبضِ على المخالفينَ للتشهيرِ بهم. ومما يدعُو للأسفِ أنه كثيراً ما يبدأ بعضُ الأشخاصِ أمراً صالحاً نافعاً.  
ولكنَّهُم سرعانَ ما ينحرفونَ بغوايةِ إبليسِ إلى مسارٍ مُضللٍ لهمُ ولغيرهمُ. ذلكَ نلاحظُهُ في موضوعِ تلكَ المرأةِ  
الخاطئةِ الذي نحنُ بصددهِ. فلقدْ أسرعَ بها الكتبةُ والفريسيونَ إلى الهيكلِ وأقاموها في الوسطِ للتشهيرِ بها.<sup>٥</sup>

<sup>١</sup> استمع إلى الإنجيل

<sup>١</sup> إنجيل يوحنا ٨: ١٠-١١ ،

<sup>٢</sup> إنجيل يوحنا ٨: ٢-٤

<sup>٣</sup> إنجيل يوحنا ٨: ٥

<sup>٤</sup> سفر يشوع ١: ٨

<sup>٥</sup> سفر نحيا ٨: ٢-٣ & ٨-٩

كثيرون نَرَاهُمْ الْيَوْمَ عَلَى شَاكَلَتِهِمْ. يَعتَبِرُونَ أَنفُسَهُمْ أَفْضَلَ سُلُوكًا مِنْ غَيْرِهِمْ. فَإِذَا أَخْطَأَ وَاحِدٌ مِنْ إِخْوَتِهِمْ اتَّخَذُوا مَوْقِفَ الْإِدَانَةِ وَالشَّمَاتَةِ وَالْمُحَاسِبَةِ وَالتَّشْهِيرِ بِهِ. نَاسِينَ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ وَضَعَ نَوْعَ الْمُؤَهِّلِ كَيْ يَكُونَ أَحَدُنَا كَفْنَا لِإَخْرَاجِ الْقَدَى مِنْ عَيْنِ أَخِيهِ. أَلَا وَهُوَ أَنْ يَبْدَأَ أَوَّلًا بِإَخْرَاجِ الْخَشَبَةِ الَّتِي فِي عَيْنِهِ. لَقَدْ قَالَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي غَلَاطِيَةِ الْأَصْحَاحِ السَّادِسِ: "أَيُّهَا الْإِخْوَةَ. إِنْ انْتَبَهَ إِنْسَانٌ فَأَخِذْ فِي زَلَّةٍ مَا. فَأَصْلِحُوا أَنْتُمْ الرُّوحَانِيِّينَ. مِثْلَ هَذَا بَرُوحِ الْوَدَاعَةِ. نَاطِرًا إِلَى نَفْسِكَ لِئَلَّا تَجْرِبَ أَنْتَ أَيْضًا. أَحْمِلُوا بَعْضَكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ. وَهَكَذَا تَمَّمُوا شَرِيعةَ الْمَسِيحِ. لِأَنَّهُ إِنْ ظَنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ شَيْءٌ وَهُوَ لَيْسَ شَيْئًا فَإِنَّهُ يَعْشُ نَفْسَهُ".<sup>١</sup>

ثَانِيًا: مَا جَاءَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ لِيَنْقِضَ الشَّرِيعَةَ الْمَوْضُوعَةَ لِلْيَهُودِ... بَلْ قَدْ جَاءَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ لِيُكْمَلَ وَيُصَلِّحَ مَا أَفْسَدَهُ الْبَشَرُ عِنْدَ تَطْبِيقِهِمْ لِلشَّرِيعَةِ الْمَوْضُوعَةِ. وَلِيُعْطِيَ الْمَثَلَ الْأَمْتَلَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا. لِيَكُونَ حُكْمَاءَ فِي حُكْمِنَا عَلَى الْأُمُورِ. وَلِنَا مَلْحُوظَاتَانِ هَامَتَانِ فِيمَا فَعَلَهُ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ الَّذِي هُوَ صَاحِبُ السُّلْطَانِ. الْبَارُّ وَحَدُهُ وَلَيْسَ سِوَاهُ. (١) إِنْ الرَّبُّ يَسُوعُ لَمْ يُشِرْ إِلَى خَطَا مَا فِي حُكْمِ الشَّرِيعَةِ بِرَجْمِ الزَّانِي وَالزَّانِيَةِ. وَلَكِنَّهُ أَوْضَحَ أَمْرًا هَامًا غَابَ عَنِ ذَهْنِ هَؤُلَاءِ الْكُتْبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ. الْمُشْتَكِينَ عَلَى الْمَرْأَةِ الزَّانِيَةِ. أَلَا وَهُوَ أَنْ مَنْ كَانَ بَارًا مِثْلَهُمْ وَبِلا خَطِيئَةٍ. فَلْيَرْمِمْهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ. مَنْ كَانَ بَارًا بِلا خَطِيئَةٍ هُوَ الَّذِي مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَدِينَهَا وَيَرْمِيَهَا بِحَجَرٍ. لَقَدْ أَيْقَضَ ضَمَائِرَهُمْ بِقَوْلِهِ هَذَا: "مَنْ كَانَ مِثْلَكُمْ بِلا خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِمْهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ". وَلَقَدْ ذَكَرَ يُوحَنَّا الْبَشِيرُ مَا فَعَلَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْهَا. إِذْ قَالَ عَنْهُمْ: "وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تَبْكِيهِمْ خَرَجُوا وَاحِدًا وَاحِدًا مُبْتَدِينِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الْآخَرِينَ".<sup>٢</sup>

(٢) قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ لِلْمَرْأَةِ: "يَا امْرَأَةَ أَيُّنَ هُمْ أَوْلَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟. أَمَا دَانَكَ أَحَدٌ؟". فَقَالَتْ: "لَا أَحَدًا يَا سَيِّدُ". لِأَنَّ الَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ ذَلِكَ الْوَقْتِ بَعْدَ خُرُوجِ الْمُشْتَكِينَ عَلَيْهَا. هُمْ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى السَّيِّدِ الْمَسِيحِ لِيُعَلِّمَهُمْ فِي الْهَيْكَلِ. لَقَدْ تَعَلَّمَ الْحَاضِرُونَ عَلَى يَدَيْهِ دَرْسًا عَمَلِيًّا. فِي إِصْلَاحٍ مِنْ أَخْذٍ فِي زَلَّةٍ. وَهُوَ الْإِصْلَاحُ بِرُوحِ الْوَدَاعَةِ مِنْ ذَلِكَ الْوَدِيعِ الْمُتَوَاضِعِ الْقَلْبِ. لَقَدْ الرَّبُّ يَسُوعُ لِلْمَرْأَةِ: "وَلَا أَنَا أَدِينُكَ". مَعَ أَنَّهُ الْبَارُّ الَّذِي بِلا خَطِيئَةٍ الَّذِي مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَدِينُ. قَالَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى مُؤْمِنِي رُومِيَةِ الْأَصْحَاحِ الثَّامِنِ: "مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟. الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا. الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللَّهِ. الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا".<sup>٣</sup>

ثَالِثًا: يَسُوعُ هُوَ نَورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبِعُهُ لَهُ نَورُ الْحَيَاةِ.. إِنْ ذَلِكَ الْأَصْحَاحُ الَّذِي اسْتَهْلَهُ يُوحَنَّا الْبَشِيرُ بِقِصَّةِ الْكُتْبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ الْمُشْتَكِينَ عَلَى الْمَرْأَةِ الْخَاطِيئَةِ. وَكَيْفَ عَالَجَ الرَّبُّ يَسُوعُ مُشْكَلَتَهُمْ بِقَوْلِهِ لَهُمْ: "مَنْ كَانَ مِثْلَكُمْ بِلا خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِمْهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ". إِذْ كَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تَبْكِيهِمْ فَخَرَجُوا مِنَ الْهَيْكَلِ مَخْذُولِينَ. وَبَنَفَسِ الْأَصْحَاحِ يَذْكُرُ يُوحَنَّا الْبَشِيرُ قَوْلَ الرَّبِّ لِلْيَهُودِ: "أَنَا هُوَ نَورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتَّبِعُنِي فَلَا يَمشِي فِي الظُّلْمَةِ. بَلْ يَكُونُ لَهُ نَورُ الْحَيَاةِ". وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا: "مَنْ مِنْكُمْ يُبْكِنُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟". إِنْ حَاجَةُ الْبَشَرِيَّةِ هِيَ لِيَسُوعَ الْبَارِّ الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً. إِنَّهُ نَورُ الْعَالَمِ وَهُوَ مُخْلِصُ الْبَشَرِيَّةِ وَفَادِيهَا. إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي يَمْنَحُ التَّنْبِيرَ لِلخَاطِيئِ إِذَا أَتَى إِلَيْهِ مُعْتَرِفًا بِحَاجَتِهِ إِلَى خَلَاصِهِ وَتَنْبِيرِهِ. فَلَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ لِيُقَدِّمَهَا الْإِنْسَانُ لِيَتَبَرَّرَ بِهَا أَمَامَ اللَّهِ كَلَّى الْقِدَاسَةِ. إِنْ الرَّبُّ يَسُوعُ لَمْ يَدِينِ الْمَرْأَةَ. وَلَكِنَّهُ قَادَهَا لِلتَّوْبَةِ. وَمَنْحَهَا الْفُرْصَةَ الثَّانِيَةَ لِتَحْيَا الْحَيَاةَ الْأَفْضَلَ. قَائِلًا لَهَا: "اذْهَبِي وَلَا تَخْطِيئِي أَيْضًا".<sup>٤</sup>

شَتَانِ بَيْنَ أُسْلُوبَيْنِ. أُسْلُوبُ فَرِيسِيٍّ يَكشِفُ الْعَيْبَ وَبِفضِيحٍ صَاحِبَهُ وَلَا يَدْفَعُ لَهُ عِلَاجًا. وَأُسْلُوبُ مَسِيحِيٍّ يَقُودُ بِاللِّطْفِ إِلَى الْفَادَى. الَّذِي يَفْتَحُ ذِرَاعِي الْمَحَبَّةِ قَائِلًا: تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَثَقِيلِي الْأَحْمَالِ وَأَنَا أَرِيحُكُمْ.

لِيَتَّكَ أَخِي تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. فِي اسْتِحْقَاقِ الدَّمِ الْكَرِيمِ الْمَسْفُوكِ مِنْ أَجْلِ عَلَى الصَّلِيبِ أَدْخَلَ إِلَى رِحَابِكَ. طَالِبًا رَحْمَتَكَ وَغُفْرَانَكَ. خَلَاصَكَ وَتَحْرِيرَكَ. إِيَّيَّيْ أَتَى إِلَيْكَ إِلَهِي مُعْتَرِفًا بِخَطَايَايَ. فَاعْفُرْ لِي مَوْلَايَ أَنَا عَبْدُكَ الْخَاطِيئِ. فِي حَقِّ الدَّمِ الْعَالِيِّ الَّذِي سَفَكَهُ لِلتَّنْبِيرِ وَالتَّطْهِيرِ أَسْأَلُكَ رَبِّي. رَافِعًا صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِيٍّ وَمُخْلِصِيٍّ. وَاتِّقًا مِنْ اسْتِجَابَتِكَ. مُمْسِكًا بِوَعْدِكَ. يَا مَنْ قَلْتِ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِئُ الْعَزِيزُ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

<sup>١</sup> إنجيل متى ٧: ٣ - ٥ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى غلاطية ٦: ١ - ٣

<sup>٢</sup> إنجيل يوحنا ٨: ٩ - ١١

<sup>٣</sup> رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٨: ٣٤

<sup>٤</sup> إنجيل يوحنا ٨: ١٢ & ٤٦ & ١١